إشهار الرؤوس المقطوعة
في أيام العباسيين

(بقية المنشور في العدد الماضي)

الأستاذ ميخائيل عواد

ثالثاً — رؤوس متفرقة

١ — الرؤوس في مصر

قال المقريزي في كلامه على دار الوزارة الكبرى : « ..... وأخبرني شيخ معمر يُعرف بالشيخ عليّ السمودي ، وُلد في سنة سبع وسبعمائة . قال : رأيتُ مرّة وقد سقط من ظهر الرباط المجاور لخانقاه بيبرس من جملة مابقي من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبة فيها رأس إنسان كبير ، وعندي أنّ هذا الرأس من جملة رؤوس الأمراء البرقية الذين قتلهم ضرغام في أيام وزارته للعاضد بعد شاور ؛ فإنه كان عمل الحيلة عليهم بدار الوزارة ، وصار يستدعي واحداً بعد واحد إلى خزانة الدار ويوهم أنه يخلع عليهم ، فإذا صار واحد منهم في الخزانة قتل وقطع رأسه وذلك في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وكانت دار الوزارة في الدولة الفاطمية تشتمل على عدة قاعات ومساكن ..[1] »

ومما حفلت به سنة ٤١٠ هـ من الأحداث أن « جرد صاحب مصر جيشاً لقتال صالح بن مرداس صاحب حلب ، وبعث الجيش مع نوشتكين التزبري ، فكانت الواقعة عند شاطىء نهر الأردن ، فاستظهر التزبري وقتل صالحاً وابنه ، وأنفذ رأسيهما إلى مصر ....[2] » .

٢ — الرؤوس في قندهار :

قندهار من بلاد السند . قد وقفنا في بعض أخبار سنة ٣٠٤ هـ ، على أنه « وَرَدَ الكتاب من خراسان يذكر فيه أنه وجد بالقَنْدَهار [1] في أبراج سورها برج متصل بها ، فيه خمسة آلاف رأس في سلال من حشيش ، ومن هذه الرؤوس تسعة وعشرون رأساً ، في أذن كلّ رأس منها رقعة مشدودة بخيط ابريسم باسم كل رجل منهم . والأسماء : شُرَيح بن حَيَّان ، خَبَّاب بن الزبير ، الخليل بن موسى التيمي ، الحارث بن عبد الله ، طَلْق بن معاذ السلمي ، حاتم بن حَسَنَة ، هانىء بن عروة ، عمر بن علان ، جرير بن عبّاد المدنيّ ، جابر بن حُبيب ابن الزبير ، فَرْقَد بن الزبير السعديّ ، عبد الله بن سليمان بن عمارة ، سليمان بن عمارة ، مالك بن طرخان صاحب لواء عقيل ، ابن لسهيل بن عمرو ، عمرو بن حيّان ، سعيد بن عتّاب الكنديّ ، حبيب بن أنس ، هرون بن عروة ، غيلان بن العلاء ، جبريل بن عبادة ، عبد الله البجلي ، مُطَرِّف بن صبيح ، ختن عثمان بن عفان (رض) — وجدوا على حالهم إلا أنهم قد جفت جلودهم والشعر عليها بحالته لم يتغير ، وفي الوقاع من سنة ٧٠ من الهجرة [2] » .

رابعاً : الطواف بالرؤوس في الآفاق :

هذا لون آخر من ألوان عرض الرؤوس ، فقد كانت تنصب ببغداد أياماً فوق الأماكن البارزة ثم تحط ، فمنها مايستقر في خزانة الرؤوس ، ومنها ما يرسل به إلى البلدان فيعرض في كل بلد وكورة ، فيكون عبرة لمن يعتبر ، وعظة لمن تسوّل له نفسه الخروج عن طاعة أمير المؤمنين . وكان من هذه الرؤوس :

١ — رأس محمد بن عبد الله :

روى الطبري في حوادث سنة ١٤٥ هـ : « حدثني عيسى

(١) خطط المقريزي (٢ . ٣٠٣ — ٤ ٣ ، مطبعة النيل) .
(٢) المنتظم (٨ : ٤٥) .

(١) كذا وردت في صلة تاريخ الطبري (بفتح القاف وسكون النون وفتح الدال) ، أما في معجم البلدان (٤ : ١٨٣ — ١٨٤ ؛ طبعة وستنفلد) فانها « قندهار : بضم القاف وتسكين النون وضم الدال أيضاً » وهو المشهور .

(٢) صلة تاريخ الطبري (ص ٦٢ — ٦٣ ، طبع ليدن) ، وتجد هذه الرواية في المنتظم (٦ : ١٣٩) .

[بن عبد الله] قال : حدثنا ابن أبي الكرام . قال : بعثني عيسى برأس محمد وبعث معي مائة من الجند . قال : فجئنا حتى إذا أشرفنا على الدجف كبرنا . قال : وعامر بن اسماعيل يومئذ بواسط محاصر هرون بن سمد العجلي . فقال أبو جعفر للربيع : ويحك ما هذا التكبير ؟ قال : هذا ابن أبي الكرام جاء برأس محمد بن عبد الله قال : إيذن له ولعشرة ممن معه . قال : فأذن لي ، فوضعت الرأس بين يديه في ترس .... ، حدثني علي بن صالح ابن ميثم . قال : لما قدم برأس محمد على أبي جعفر وهو بالكوفة أمر به فطيف به في طبق أبيض ، فرأيته آدم أرقط ، فلما أمسى من يومه بعث به إلى الآفاق [1] » .

٢ — رأس بابك الخرمي

كان ظهور بابك الخرمي في أيام المعتصم ، وقد اشتهر أمره وذاع صيته وكثر أتباعه ، فهابته أمراء النواحي والأطراف ، وبالغ في الظلم والعيث والفساد ، وكان المعتصم يومذاك مشتغلا في بناء سامراء ، العاصمة الجديدة لبني العباس ، فصبر له ، حتى إذا فرغ من هذا الأمر ، سير إليه الجيوش وعليها الأفشين ، فاتصلت الحرب بين الطرفين مدة ، حتى ضاق الأمر على بابك ثم داوت الدائرة عليه فوقع أسيراً هو وأخوه وجماعة من أصحابه ، فجيء به مقيداً مشهراً . قال المسعودي يصف مشهد قتل بابك : « ووجدت في كتاب أخبار بغداد [2] أنه لما وقف بابك بين يدي المعتصم لم يكلمه ملياً ، ثم قال له : أنت بابك ؟ قال : نعم أنا عبدك وغلامك ؛ وكان اسم بابك الحسن ، واسم أخيه عبد الله . قال : جردوه ؛ فسلبه الخدام ما كان عليه من الزينة ، فقطعت يمينه فضرب بها وجهه ، وفعل مثـــل ذلك بيساره ، وثلث برجليه ، وهو يتمرغ في النطع في دمه ؛ وقد كان تكلم بكلام كثير يرغب في أموال عظيمة بذلها ، فلم يلتفت إلى قوله وأقبل يضرب بما بقي من زنديه وجهه . وأمر المعتصم السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل ، ثم أمر بحز رأسه وضم أطرافه إلى جسده ، فصلب ثم حمل رأسه إلى مدينة السلام فنصب على الجسر ، وحمل بعد ذلك إلى خراسان فطيف به كل مدينة من مدنها وكورها ؛ لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره وعظيم شأنه وكثرة جنوده وإشرافه على إزالة ملك وقلب ملة وتبديلها . وحمل أخوه عبد الله مع الرأس إلى مدينة السلام ففعل به اسحق ابن ابراهيم ما فعل بأخيه بابك بسامرآء ، وصلب جثة بابك على خشبة طويلة في أقاصي سامرآء ، وموضعه مشهور إلى هذه الغاية يعرف بكنيسة بابك ... [1] »

٣ — رأس الحلاج :

للحسين بن منصور الحلاج أخبار غريبة أسهب الكتبة فيها ، حتى إنهم صنفوا كتباً [2] شرحوا فيها دعوته وأعماله وأقواله ويهمنا في هذا المقام خبر رأسه . فقد روى ابن الجوزي في ترجمته للحلاج ، قائلاً : « ... . فلما أصبح يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة [سنة ٣٠٩ للهجرة] أخرج ليقتل ... ، وضُرب ألف صوت ، ثم قطعت يده ثم رجله ، وحز رأسه وأحرقت جثته ، وألقي رماده في دجلة .. . [3] » .

ثم أشار أبو الفرج إلى مصير رأس الحلاج في حوادث سنة ٣١٠ هـ ، فقال : « وفي يوم الاثنين سلخ ذي القعدة ، أُخرج برأس الحسين بن منصور الحلاج من دار السلطان ليحمل إلى خراسان [4] » .

وعلى هذا فإن رأس الحلاج مكث سنة كاملة ضيفاً على خزانة الرؤوس .

ميخائيل عواد

---

(١) تاريخ الطبري (٣ : ٢٥٤ — ٢٥٥) .

(٢) أخبار بغداد لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور (المتوفى سنة ٢٨٠ هـ) ، وقد أشار إليه المسعودي غير مرة في مروج الذهب (١ : ١٢ و ٨ : ٢٠٩) .

والمعروف من هذا الكتاب اليوم ، الجزء السادس فقط ؛ فيه خلافة المأمون . وقد عني بنشره « هانس كلر » في ليبسك سنة ١٩٠٨ ، وترجمه الى اللغة الألمانية

(١) مروج الذهب (٧ : ١٢٩ — ١٣١) .

(٢) لأبي الفرج ابن الجوزي كتاب في أخبار الحلاج . راجع المنتظم (٦ : ١٦٢) .

(٣) المنتظم (٦ : ١٦٤) .

(٤) المنتظم (٦ : ١٦٧) .